

النظرية السيميائية السردية بين التأصيل و التطبيق -المقامة البغدادية لركن الدين الوهراني أنموذجاً-

the narrative semiotic theory between rooting and application - Al-

Baghdadi al-Maqamah of Rukn al-Din al-Wahrani as a model -

بلحرمة يوسف^{1*} - أ.د مزارى عبد القادر²

¹ جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم (الجزائر) belhormayoucefibnmhadji@gmail.com

² المدرسة العليا للأساتذة - مستغانم (الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/03/28

تاريخ القبول: 2021/08/03

تاريخ الإرسال: 2020/12/30

ملخص: تندرج هذه الدراسة ضمن إطار النقد السيميائي عموماً و النقد السيميائي السردى خصوصاً، وقد وسمتها : النظرية السيميائية السردية بين التأصيل و التطبيق المقامة البغدادية لركن الدين الوهراني أنموذجاً ، حاولت في مستهل هذه الدراسة الإشارة إلى أهم المسارات النظرية، و الإجرائية لآليات التحليل السيميائي السردى عند كبار منظري هذه النظرية ، و في الشق الثاني من البحث حاولت تطبيق بعض آليات هذا المنهج على نص تراثي جزائري قديم يعرف باسم المقامة البغدادية لركن الدين الوهراني، و تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن الأنساق الدلالية و المعرفية المشكّلة لهذا الاثر المقامي الجزائري الفريد.

الكلمات المفتاحية: السيميائية السردية ; التأصيل ; التطبيق ; المقامة البغدادية ; ركن الدين الوهراني

ABSTRACT : This study falls within the framework of semiotic criticism in general and narrative semiotic criticism in particular, and its label: the narrative semiotic theory between rooting and application-al Maqamah al Baghdadi Rukn al-Din al-Wahrani, and I tried at the beginning of this study to refer to the most important theoretical and procedural paths of the mechanisms of narrative semiotic analysis of senior theorists This theory, and in the second part of the research, I tried to apply some of the mechanisms of this approach to an ancient Algerian heritage text known as al-Maqamah al-Baghdadi Rukn al-Din al-Wahrani. This study aims to reveal the semantic and epistemological consistency that forms this unique Algerian maqam effect.).

Keywords: semiotic criticism; rooting; application; -al Maqamah al Baghdadi Rukn al-Din al-Wahrani;

1- مقدمة:

يعتبر ألجيرداس جوليان غريماس المؤسس الفعلي للسيميائيات السردية ،وينطلق من ملاحظة مفادها أن الفكر البشري ينطلق من عناصر بسيطة لكي يصل إلى خلق موضوعات ثقافية عبر مسار معقد يقود من المحايثة إلى الوضوح والتجلي، ومما لاشك فيه أن السيميائية السردية انتشرت في حقل الدراسات الأدبية والنقدية بفضل جهود الكثير من الباحثين الذين عملوا على تبسيط المفاهيم وتقديمها والتعريف بها، وذلك عن طريق الدراسات النظرية والتطبيقية، كما لا يخفى على الباحث أن الأصول

التي غدت هذه النظريات عديدة ومتنوعة حيث نجد لها جذورا مترسبة في اللسانيات ، وأغصانا تطاول عنان المنطق، وفروعا تغذيها الأنثروبولوجيا وغيرها من الحقول المعرفية المختلفة والمتعددة، لكن يبقى التساؤل مطروحا: هل هناك تواؤم بين الأصول النظرية و التطبيقية ؟ و هل يرقى هذا الاتجاه السيميائي ليجد له آليات إجرائية تمثله لاسيما في النقد التطبيقي؟ وما مدى نجاعة هذا المنهج خصوصا في استقراء الكتابات التراثية خاصة ما تعلق بكتابات ركن الدين الوهراني ؟

2- السيميائية السردية نظرية وتأصيل.

يرى غير واحد من الباحثين المتخصصين أن دلالة الخطاب تتجسد في مجموعة من المستويات أي أن هناك البنية العميقة، وهي مستوى يسير إلى مجمل العناصر الموصوفة في البنية الدلالية الأولى، وهناك البنية السطحية، والتي تشير إلى الوجود التركيبي لهذه القيم التي تمثل خطابا قادرا على فتح هذه الأخيرة، ثم هناك أشكال التجلي إلى ما يعود إلى تنظيم الدوال¹ كما أن هناك بنيات عميقة تتحدد فيها العناصر الإنسانية بتنوع أشكالها وحضورها الجماعي أو الفردي والتي تتميز "بوضع منطقي وهذا لا يتم إلا بتحديد المرجعية الثقافية التي تتحكم في السلوكيات وهناك بنيات سطحية والتي تشكل مثالا سيميائيا، وتتكون من مجموعة من القواعد التي تقوم بتنظيم المضامين القابلة للتجلي في أشكال خطابية خاصة"² أما العنصر الموالي فهو عبارة عن بنيات خاصة مهمتها إنتاج وتنظيم الدوال، وتعد هذه العملية "تمثيلا لغويا لنشاط غير لغوي"³ دون إهمال جانب القيم خصوصا المضامين المتنوعة الإنسانية والاجتماعية والثقافية.

وغير بعيد يرى جوزيف كورتيس أن السيميائية السردية تعالج المعنى ولا تكون "إلا نقلا لمستوى في الكلام الداخل آخر مختلف"⁴ أي أن السيميائية تتحدد كلغة ثانية في عالم المعنى والذي تتخذه موضوعا للتحليل وهذا لا يتم دون تفعيل بعض المبادئ وعلى رأسها مبدأ المحايثة، إذ تسعى السيميائية إلى دراسة التجليات الدلالية من الداخل بالتركيز على هذا المبدأ، والذي تخضع فيه الدلالة لقوانين داخلية خاصة مستقلة عن المعطيات الخارجية العامة⁵. وذلك لا يتم إلا باستبعاد الظواهر لا لسانية من عملية النظر والوصف إلى الظواهر اللسانية، ومبدأ الاختلاف والذي يقوم على وصف الأشكال الداخلية لدلالة النص، ويشترط فيه أن المفاهيم المتباينة تكون متعارفة ليس بشكل إيجابي وإنما بشكل سلبي خصوصا من علاقتها مع العناصر الأخرى⁶. ويهدف هذا المبدأ إلى استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون النظر إلى طبيعتها.

2-1- السيميائية السردية والنهج الشكلي

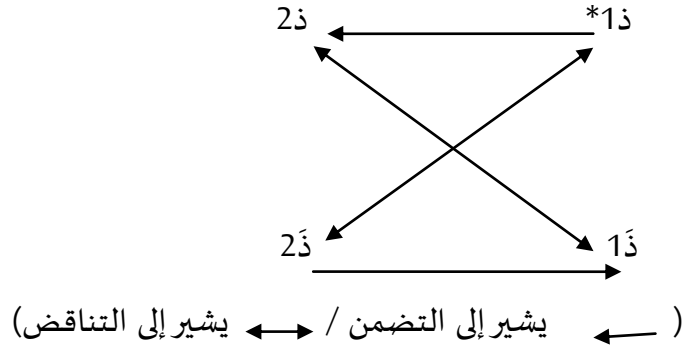
تتمحور المقاربة السيميائية في إعادة تشكيل النتائج التي توصل إليها فلاديمير بروب في كتابه "خطاب الحكاية"، والذي يسمح بإبراز النظام التركيبي للحكايات التي تجاوز الجملة وارتبط بتفصيل المجموعات السردية بعد تحليله لمجموعة من الحكايات الشعبية الروسية. وكذلك المقاربات التي توصل إليها كلود ليفي شتراوس خصوصا في دراسة المكون الدلالي وخصوصا المنهجية التي وظفها في أعماله لتتقاطع هذه الأبحاث مع الفعل اللساني، ولعل هدف هذه السيميائية العام هو "استكشاف المعنى ...

الذي يتحدد كإيصال الرسالة من الباث إلى المستقبل.⁷، ويعتقد الكثيرون أن وظيفة السيميائية تتحد وفق إرادة التواصل إلا أن مشكل المعنى الذي تريد السيميائية الاهتمام بجوانبه يتجاوز كثيرا مشكل الاتصال الذي تتضمنه، وما هذا الأخير إلا جزء منها⁸ حيث تتحدد كلغة ثانية على حد تعبير كورتيس⁹ خصوصا في مجال عالم المعاني خاصة وأن الفعل السيميائي لا يُمارس إلا في الحالة التي يحتفظ فيها بالخصائص المشتركة، فكل متغير يمكن أن يصنف على التوالي كثابت لتسهيل عملية الكشف عن الدلالة والمقارنة بين الحالات على عكس النمط البحثي القديم الذي يخلط في أبحاثه في النص الواحد بين مستويات عديدة تاريخية واجتماعية ونفسية وغيرها.

يؤسس التطبيق السيميائي السردى من خلال الاحتفاظ بالعناصر النسقية للموضوع وإبعاد السياقات الخارجية لأن "الإدراك الشامل والاكتمال لا يمكن أن يعتبر من البحث العلمي التحليلي"¹⁰ وبعد تعيين مستوى التحليل لأبد من العمل على تحديد نظامه الأساسي لتتم العملية المتمثلة في فصل كل وحدة سردية على حدا، وتحديد مكوناتها وعلاقتها على المستويين التركيبي، ولإبدالي وكل هذا يتم على المستوى الاستنباطي، والاستقرائي مع مراعاة النماذج المراد تركيبها ومدى توافقها ضمن الأفق المنطقي إلى جانب علم الدلالة التفسيري¹¹ الذي التماهي في الدرس اللساني، لأن أغلب المفاهيم الأساسية، والإجراءات المشتركة بين المقاربتين....¹² ولتحديد أجزاء المتتالية سيميائيا نجد أن كل قصة يمكن أن تعبر عنها بلغة طبيعية في شكلها اللساني القائم على الدال، والجوهر القائم على المدلول أي أنها تمتد بين التعبير والمحتوى كون هذه القصة يمكن أن نعبر عنها في لغات طبيعية كثيرة (عربية، إنجليزية...)، وغيرها دون أن تتخبر جوهرها وهذا يظهر الاستقلالية بين الدال والمدلول.

قد أحدثت السيميائيات السردية نماذجاً للملفوظات السردية بهدف الوقوف على جميع أنواع الملفوظات، وتبنى هذه الملفوظات بإدماج قيود دلالية مثل الإرادة، أو المعرفة، أو القدرة¹³ كما اقترحت السيميائية السردية وحدات جامعة بين العامل، والموضوع وتقوم هذه المقاربة على نفي عناصر وإثبات أخرى لتوافق تحول قيم الموضوع أو المحتوى، ويظهر هذا كله على شكل متتاليات أو جمل من الملفوظات وكل هذا يصطلح عليه النحو السردى إذ يقوم "بتنظيم العلاقات بين العوامل وتمفصلاتها وصلاتها ووظائفها وتحولها من حالة إلى أخرى وتعد العوامل العناصر المكونة للنحو السردى"¹⁴ ويوصف النحو السردى بأنه عمليات تتم على أطراف قابلة للشحن بقيم المضمون ومنه فإن هذا النمو يبدل هذه الأطراف ويعالجها من خلال نفيها وتأكيدا ومن خلال فصلها ووصلها.¹⁵

إن توليد الدلالة لا يتم بإنتاج البلاغات وتركيبها في خطاب معين، بل إنه مرتبط في مساره بالبنى السردية التي تنتج خطاب ذا دلالة وفق تحليل سردي بوصفه مجالا للأبحاث وفضاء لتنظيم نماذج سردية عديدة ومتنوعة¹⁶ إذ تشكل هذه الأخيرة بناء قائما بذاته ضمن التنظيم العام للسيميائية بوصفه علما يعنى بالبنية الأساسية للدلالة التي يمكن أن تنبثق منه، والتي تبدو بعد ذلك وكأنها بديهيات¹⁷ مثل نموذج (الأبيض) يقابل (الأسود) تربط بينهما علاقة تضاد ويمكن لكل طرف منها أن ينتج نقيضا له أو طرفا جديدا كما يمكن للأطراف المتناقضة أن تقيم علاقة كما هو مبين في هذا النموذج الدلالي.¹⁸



من خلال هذا المخطط الدلالي يمكن إنتاج بني دلالية تعود إلى بنية أساسية لتقدم نموذجا سيميائيا.

2-2- التشكيل السرد في النظرية السيميائية:

مما لاشك فيه أن لكل منهج مفاهيم إجرائية تسهم في الكشف عن إشكالاته ، وكذلك البحث السيميائي وحيثياته خاصة ما تعلق بالبنية السردية إذ تقوم هذه الأخيرة على:

أ-الحالة والتحويل: تتشكل بنية النص من العلاقات القائمة بين العوامل وتتراوح بين الحالة والتحويل وذلك بالاستناد إلى الرابط النصي الذي يقيمه الفاعل بموضوع القيمة.¹⁹

*الحالة: وتدل في النظرية السيميائية على الكينونة (وجدت زيدا مصابا)، والملك (يملك زيد قصرا) كما تدل على الوظيفة التي تربط الفاعل بموضوع القيمة ،وتأسيسا على ما سبق يتبين أن علاقة الفاعل بالموضوع (ف.م). تحتل نمطين:²⁰

*الفصلة أو الملفوظ الفصلي: ويعبر عن فصل الفاعل عن الموضوع وتتميز بالسلب (فقد زيد قصره) .

*التحويل: يستمد ملفوظ الفعل بناءه السرد من التحويل أي الانتقال من حالة إلى حالة وفق ما يعزى بالوصلات والفصلات بين الفاعل وموضوع القيمة، يبدأ بالحالة الأولية ليفضي إلى الحالة النهائية للمكون الحكائي وفق محوري (قبل وبعد) لأن العمليات تتم على عناصر (...مستثمرة قيما وفي هذه الحالة الأخيرة فإن نتائج التحويلات تفضي إلى تغيير المحتويات بنفي محتويات عددية وتأكيد أخرى جديدة".²¹ يأخذ التحويل شكلين متميزين:*التحويل الوصلي:ويحقق الانتقال من حالة فصلة بموضوع القيمة إلى حالة وصلة به (ف ∩ م) ← (ف ∪ م).

وحتى يتحقق التحويل لابد من وجود فاعل وهو في الحقيقة ليس شخصية ولا حتى الموضوع الذي يسعى لتحقيقه هو ليس شيئا محددا بل هو أدوار ومفاهيم وصيغ تركيبية تجسدها علاقة التضاييف وتقاس درجة الصراع بين العوامل في النص بالقيم التي يسعى كل طرف إلى الدخول في وصلة بها²² وعليه فإن الفاعل والموضوع يكتسبها أهمية بالغة خصوصا في العلاقة التي تربطهما، إذ بواسطتهما تتحدد بنيات الفاعل، وتتوزع الأدوار، ويشد التنافس ،وتتأزم الحوادث، وقد عرف الموضوع بأنه حيز توظف فيه قيم تقترن بالفاعل أو تنفصل عنه".²³

3-2- البرنامج السردی:

من خلال ما قدمناه يتبين أن ملفوظات الأفعال بصفتها قادرة على التحول تحكم ملفوظات الحالة لتشكّل في الوقت ذاته برنامجا سرديا حيث يقوم الفاعل المنفذ "بأحداث تغيير يدل دلالة قاطعة على أن الانتقال من حالة إلى أخرى مرهون بتحويل و بفعل تبني عليه قواعد البرنامج السردی" ²⁴ وهذه القواعد لا تخرج عن محوري الفصل والوصل يمتلك فيهما الفاعل موضوع القيمة أو يفقده.

1- الامتلاك / [ف1* ← (ف2 ∩ م)].

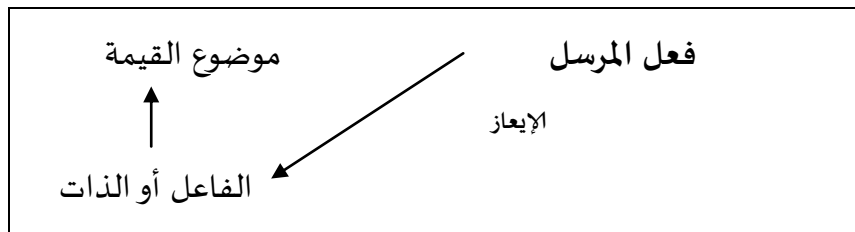
2- فقدان / [ف1** ← (ف2 ∩ م)].

كما أن البرنامج السردی يبقى في الحالات أجمع محكوما ،وتبعا للإضمار والتحيين والتحقيق ومقياس فشل أو نجاح أي برنامج مرهون "بالتابع الجدلي الذي يتبع كل برنامج سردي" ²⁵ فالنصر تقابله الهزيمة ،وعليه فإن كل برنامج يقابله برنامج جيد ليتحول من شكله البسيط إلى برنامج معقد ومتداخل مع برامج أخرى.

4-2- الرسم السردی:

تقوم البرامج السردية على الفاعل إذ تستمد حركيتها قدرات هذا الأخير تتوافق على الرسم السردی والذي بدوره لا يخرج عن أربعة أطوار حيث تتشكل وفقها العلاقات بين العوامل والأدوار العاملة تبعا لمتوقع كل منها. وهذه الأطوار يحكم بينها المنطق السميائي حيث "ينظم تعاقب الملفوظات في شكل أطوار أربعة متماسكة البناء مرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا خاضعا لمبدأ التدرج". ²⁶ وهذه الأطوار هي التحريك أو كما اصطلح عليه عبد الحميد بورايو الإيعاز إضافة إلى الكفاءة والأداء والتقويم.

أ-التحريك أو الإيعاز: هو أول لبنة في الرسم السردی ،ويذهب الباحث رشيد بن مالك كونه أول تطور في الرسم السردی وهو يدل على فعل يمارسه الفاعل على شخص آخر ممارسة تلزمه تنفيذ البرنامج السردی المقترح ²⁷ ومنه فإن التحريك يتجلى من خلال الفعل الذي يبثه المرسل في الفاعل يدفعه إلى تبني هذا الفعل وتنفيذه ليشكّل برنامجا سرديا خاصا وفق المخطط الآتي: ²⁸



هذا المخطط يبين موقع المرسل والعلاقة الموجودة بينه وبين الفاعل وكيف تتم عملية التحريك/ الإيعاز ،وهذه العلاقة لا تخرج عن محوري الترغيب والترهيب، ففي الوضع الأول يقنع المرسل

الفاعل بالقيم التي يتوقع حدوثها في البرنامج السردى ، فإذا قبلها يدخل الفاعل في وصلته مع موضوع القيمة وإذا رفض الفاعل هذا العرض يلجأ المرسل/ المحرك إلى حمل الفاعل على قبول العرض ، وتأسيسا على ما سبق: يتضح أن التحريك/الإيعاز يعد عملية أساسية تتم فصل فيه كفاءة الفاعل وتتشكل من خلاله مقومات البرنامج السردى:

ب-الكفاءة والأداء:

الكفاءة من منظور الشكلايين الروس هي المعرفة بالقواعد اللغوية التي من شأنها إنتاج عدد لا متناهي من الجمل والمتتاليات اللغوية، أما الأداء فهو استعمال اللغة في سياقات معينة، يعود في خضمها المرسل وبصورة لا إرادية إلى الكفاءة اللغوية الكامنة لديه. قد وقف غريماس موقفا إيجابيا من هذا المشروع الشكلاي المتمثل في هذه الثنائية ليقوم بصهرها في منظومة مفاهيم معينة مستفيدا من النتائج التي توصل إليها تشومسكي²⁹ بوصف الكفاءة كونها نظام من القيود اللغوية التي يكتسبها الفرد في حين أن الأداء هو نتاج الملفوظات تجسد كينونة الكفاءة.³⁰ والكفاءة من المنظور الغريماسي يتراوح بين معرفة الفعل والفعل كما أن كل سلوك مبرر يفرض برنامجا سرديا "وعلى هذا الأساس يكون البلاغ قابلا للتحويل إلى برامج"³¹ كما يحتاج هذا إلى سلوك اصطلاح عليه غريماس "فعل الكفاءة" وعرفه بأنه نقطة توتر قائم بين نقطة الصفر والنقطة التي يتحقق فيها الفصل والكنه³² وتبنى هذه الكفاءة على أربعة عناصر.³³

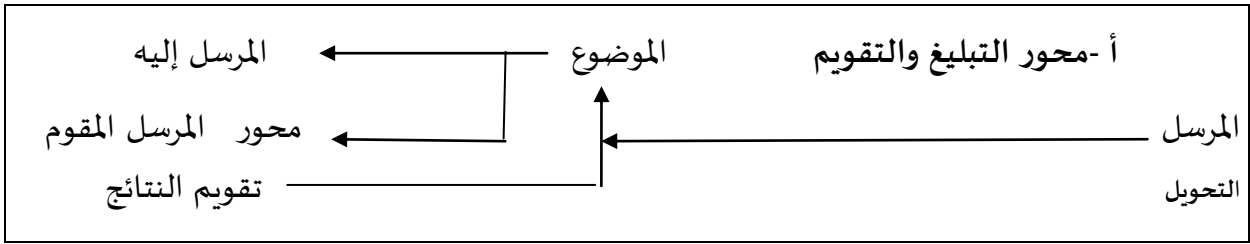
*الإرادة. *الواجب *القدرة*المعرفة

مثلا :

- أ- أريد أن أدلك إلى طريقة لتحصيل العلم.
- ب- أستطيع أن أدلك على طريقة لتحصيل العلم.
- ت- يجب أن أدلك على طريقة لتحصيل العلم.
- ث- سأدلك إلى طريقة لتحصيل العلم.

تحتوي هذه المتتاليات على فاعل محرك (الضمير المتكلم) ، وأداء الفعل (أدل) ، وتختلف دلالتها من متتالية إلى أخرى" اختلافا يقوم على طبيعة العلاقة التي تربط الفاعل بفعله"³⁴ ليتخذ الفعل (أدل) في أ، ب، ت، ث أشكالا مختلفة مبنية أساسا على الجهة التي تتحكم في الفعل دلاليا على مستوى كفاءة الفاعل وإن كانت "تقوم بين المستويات علاقة تضمين موجهة". وعليه فإن أداء الفعل مشروط بهذه المستويات السابقة الذكر والمتمثلة في الإرادة والوجوب والقدرة والمعرفة وتعرف "موضوع الجهة".

ت- التقويم: يوصف التقويم بأنه المرحلة المتقدمة للرسم السردى إذ من خلاله ينظر إلى البرنامج السردى المحقق وتقوم فيه النتائج تبعا لأوامر المرسل إلى الفاعل/العامل أثناء مرحلة التحريك/الإيعاز وهذا ما يبينه النموذج العاملي الأول والثاني.³⁵



يظهر في النموذج العاملي الأول العلاقة التعاقدية بين المرسل/ المحرك والفاعل لا يبدأ هذا الأخير في إتمام برنامجه عن طريق تحويلات ليظهر المرسل/المحرك في نهاية النموذج في وضعيته مغايرة تماما حيث يقوم بتقويم الأداءات المحققة.

بناء على ما سبق نستنتج أن هذه الأطوار تكتسب أهمية بالغة حيث تؤسس للعلاقات القائمة بين الفواعل، و العوامل والوظائف أو الأدوار العملية التي تسند لها في شكل برامج سردية ضمن سياق تطوري عام وفق هذا الجدول:

التقويم	الأداء	الكفاءة	التحريك/ الإيعاز
الحكم على الكينونة	فعل وتجسيد الكينونة	كينونة الفعل	فعل الفعل
المرسل المقوم ↓ الفاعل المنفذ -الفعل التقويمي	الفاعل المنفذ (موضوع القيمة) -الفعل التحويلي	الفاعل المنفذ (موضوع الجهة) -امتلاك الكفاءة	المرسل ↓ الفاعل/ العامل -البعد الإقناعي

5-2- المربع السيميائي:

من المسلم به أن الدلالة هي الواقع الظاهر لعالم الدال ويلعب تقطيع المقاطع دورا مهما في استجلاء الدلالة بوصف أن "كل مقطع سردي يكون قادرا على أن يكون لوحده حكاية مستقلة وأن تكون له غاية خاصة به غير أنه يكون قادرا أيضا على الاندماج داخل الحكاية أكبر توسعا ليؤدي وظيفة خاصة داخلها. وهو تمثيل مرئي لتمفصل. منطقي لأية مقولة دلالية".³⁶ يفرض مفهوم البنية الذي يصوغ بأنه يقبل شبكة علاقات من النوع التزامني والذي يعد أساسا للعوامل كما يتجلى في النصوص السردية إذ تنتظم الدلالة في مجموعات متناظرة تأخذ شكل المربع السيميائي.

ولكن البنية الأساسية للدلالة تقع على مستويات عميقة وتأخذ شكل نموذج محدد فلا بد من استثمار المربع السيميائي للكشف على الدلالات، و في ضوء هذا يرى غريماس "أن المعنى يقوم على أساس اختلافي وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقات ثنائية متقابلة، وقد صاغ غريماس أفكاره هذه وفق ما سماه بالمربع السيميائي..."³⁷ علاقة توليدية متغيرة غير ثابتة فإن المربع

السيميائي يعد أهم عنصري عني بدراسة البنى العميقة بوصفه حوصلة لكل التحليلات السيميائية³⁸ كما يمكن القول أن المربع أداة منهجية تسمح برصد وتتبع المعاني في الحالات البسيطة والمركبة، كما أن الهدف من التحليل ليس وضع مربع للنص أو وضع نص في مربع لكنه يمكن من وصف النص³⁹ كونه عالم دلالي مصغر.

و على هذا الأساس يرى غريماس أن النص هو عبارة عن كيانات قائمة بذاتها لا تحتاج إلى معلومات خارجية، وعليه فإن الدلالة لا تستنبط من سطح النص، وإنما لابد من العودة إلى باطنه، ويُعرف عبد الحميد بوريو المربع قائلاً "هو صيانة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات التناقض، التقابل، التلازم، فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة ويكشف عن آلية إنتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي المعنى، فهو أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالته الأولية، وشبه الخام، حتى الدلالة التركيبية المختلفة أو في الدلالة التأسيسي في مختلف التجليات: الصيغة، الفاعلية، الوظائفية والخلافية"⁴⁰ كما تقوم البنية الأساسية للدلالة –حسب غريماس- على هذا النحو إذا كانت الدلالة (د) تمثل عالم الدال في أي نظام سيميائي فإنها تقابل بالضرورة (د) باعتباره نقيض الطرف (د).

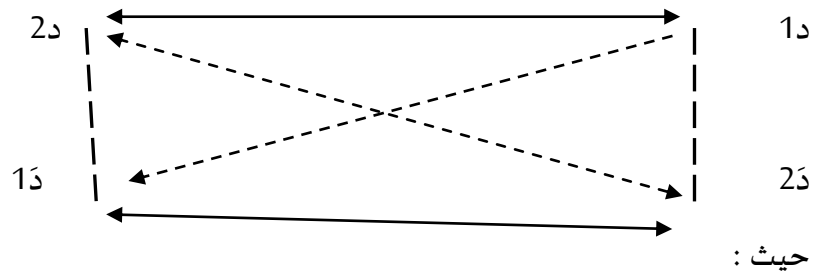
وإذا نحن افترضنا أن المحور الدلالي (د) (مادة المضمون) يتم فصل على مستوى الشكل إلى معنيين متضادين:

1د ← 2د

فإن هذين المعنيين يشير كل منهما إلى وجود طرف نقيض:

1د ← 2د

وعليه إذا نحن افترضنا أن (د) (مادة المضمون) يمكن أن يعاد تعريفها دلالياً بعد القيام بتحليلها معنمياً بوصفها معنماً مركباً من (1د) و(2د) يمكن القول:⁴¹



حيث :

----- العلاقة بين المتناقضات

↔ العلاقة بين المتضادات.

--- علاقة التضمين.

بناء على ما سبق يمكن بناء الجدول الآتي:⁴²

العلاقات المؤسسة	الأبعاد	البنى المعنوية
التضاد	محور (د) مركب	د1+د2
	محور (د) محايد	د1+د2
التناقض	القطر 1	د1+د1
	القطر 2	د2+د2
التضمن البسيط	الجانب 1	د1+د2
	الجانب 2	د1+د2

انطلاقاً من الجدول يمكن النظر الى تحديد العلاقات التي يركز عليها المربع السيميائي.

1- علاقة تدرجية شمولية⁴³ وتكون بين د1 و د2 بوصفها معنا للمحور الدلالي (د) وبين د1 ود2.

2-علاقة تناقض: وتقوم بين د1 ود1 وبين د2 ود2

3-علاقة تضاد: تقوم بين د1 و د2 وبين د ود2.

4_علاقة تضمن وتكون بين د1 ود2

3- المقامة البغدادية:

1-3- المسار السردى للمقامة البغدادية:

تتموضع البنية السردية للمقامة الافتتاحية المعروفة بالمقامة البغدادية⁴⁴ على حالة من التوافق نستشفها من ظاهرعلاقات القيم المعلن عنها في هذه المقامة ،والتي تتمثل في رحلة الوهراني من مسقط رأسه مدينة وهران إلى بغداد مدينة السلام ، وما كابده في سبيل الوصول إليها بعدما رسم فضاء نموذجيا للمدينة لما تشكله من أهمية فارقة في الكشف عن الدلالات الشاملة التي تختزل في ذلك المكان المقامي لما له من قيمة في توضيح أنماط البناء ،ومساعدته على رصد الدلالة وبوصفه أيضا جزءا من الهيكل السردى في المقامة البغدادية التي تميزت بمبناها الحكائي القائم على الطريقة أو النظام الذي تقدم به الأحداث في العمل السردى مع ما يتبعه من معلومات وإشارات⁴⁵. ولأن المسارات السردية تقوم على كشف الأطر العامة التي تنتظم فيها أجزاء النص الأدبي بوصفها هندسة النص الداخلية لتجتمع في سلك منظم.

وقد قامت المقامة البغدادية على مسارات سردية مميزة من شأنها أن تكشف عن النمط التأليفي الذي انتهجه الناص في هذا العمل الإبداعي لتتشكل وفق هيكل معماري فريد قائم على الإفتتاحية ،وعرض والختام.

كما تتمحور أحداث هذه المقامة في رحلة الراوي إلى مدينة السلام بعد جهد وتعب شديد قاصداً بذلك مصاحبة الفضلاء ومجالسة العلماء لما وصل بغداد أرشد إلى أديب فاضل يدعى أبو المعالي وهو شخصية تاريخية حقيقية، فحاوره عن الأوضاع في بلاد مغرب، ومصر وصقلية والدولة الأيوبية في الشام.

فكانت هذه الحوارات بمثابة قصص متضمنة في الحكاية الإطار -المقامة البغدادية-ويمكن تقسيم الحكاية الإطار إلى: قصة الدولة المصرية و أسد الإسلام الملك المنصور، وقصة الوهراني والوزير عضد الدين ،ويمكن أن نصلح على القصة الأولى للقصة الافتتاحية للحكاية الإطار، والثانية القصة الختامية للحكاية الإطار.

2-3- المسار السردى لمتن القصة الافتتاحية للمقامة الإطار⁴⁶

يتشكل المتن القصة الافتتاحية للحكاية الإطار من المقطعين التاليين:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظائف	المتتاليات السردية الدالة
1/	- الاضطراب	- الظلم.	- وألقى بأسهم بينهم فقتل خالد بكرا.
	- التحول	- الركوع والانصياع. - التفرق والتشردم.	- كسر قراب السيف وأغمد في الثناء والضيق. - تفرقت أجنادهم.
	- الحل	- الضعف. - الاستعمار	- فقصرت حبال الدولة عن ربطها. - وسبق إليها رجال الإفرنج. يجوسون خلالها ويتقيؤون ظلالها.
2/	- الاضطراب	- التحدي	- انتدب لها من بني شادي الملك الهصور
	- التحول	- المواجهة	-فرماها بهمته، و قصدها برمته فدافعه و مانعوه

	- الحل	- النصر	- فقتلهم وكسرهم وأخذوا بها لهم وأسرهم، وإلى أن طواها طي السجل للكتاب .
--	--------	---------	--

على هذا النحو تتابعت الوحدات الكبرى في القصة الافتتاحية للحكاية الإطار القائمة على مسار الدولة المصرية وملوك بني أيوب لتقوم على مبدأ الاستبدال بين المقاطع هذه القصة حيث استبدل "النتيجة" في المقطعين على تتابع حسب صنف "اضطراب".⁴⁷

3-3- تنظيم المحتوى الوظيفي في القصة الافتتاحية للمقامة البغدادية

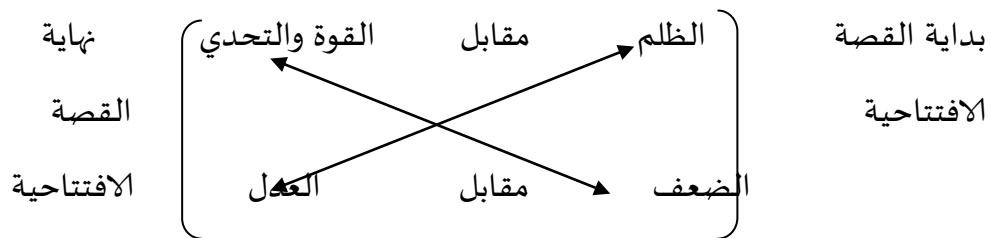
وازنت القصة "الدولة المصرية وأسد الإسلام الملك المنصور بين محورين استبداليين هما:

- أ- محور الدولة الظالمة الغاشمة // ضعف هذه الدولة الى حد تكالب الأمم الصليبية عليها.
- ب- محور القائد الأيوبي الشاب // تمكن من إنقاذ ما يمكن إنقاذه وإرجاع هيبة الأمة وكسر شوكة الصليبيين.

قامت إذن كل من القصة الافتتاحية للحكاية الإطار على مقولتين داليتين هما:

الظلم	/ عكس /	العدل
الضعف والإستكانة	/ عكس /	القوة والتحدي

وإذا ما أرجعنا هاتين المقولتين إلى مستوى الدلالة القاعدية أو التأسيسية التي انبثقت عنها القصة نجد أنها تتمظهر عن طريق المربع السميائي الآتي:



تمخض عن التركيب القاعدي لمعنى القصة والموضح في المربع السميائي أعلاه عن المسار الغرضي التالي:

- انتفى طموح الدولة العظيمة لغياب العدل فيها وقيام الجور مقامه وغياب الرجال المخلصين وعليه فإن الدولة اندثرت وذهب لسلطانها وغزاها الأعداء.

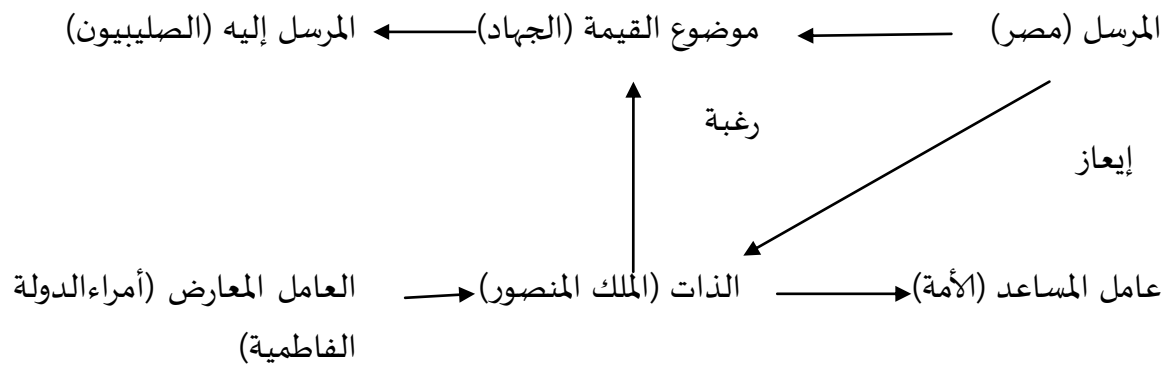
- انتفى خضوع البلاد للأعداء لقيام الإرادة وعودة العدل الذي هو أساس القوة على يد الملك المنصور أسد الإسلام.

3-4- الأدوار الغرضية في القصة الافتتاحية:

تجري أحداث الحكاية على صعيدين متجانسين تربط بينهما علاقة منطقية ويتراوح هذين القطبين بين الضعف والقوة يتأسس الأول على غياب مقومات الملك العظيم فيما يقوم الثاني على مبادئ الملك العظيم، يحيل الأول على شق عصا الطاعة وانحصار ظل الدولة وتملك الآخر على البلاد واثومه على صدور العباد، فيما يضمن الثاني العودة إلى الخلافة الراشدة ورأب الصدع ، والعودة إلى الجهاد .

3-5- البنية الفاعلية في قصة الدولة المصرية والملك المنصور:

يمكن تقديم المقطعين عبر بنية فاعلية عامة وهي:⁴⁸



من خلال النموذج العاملي وتأسيسا على موضوع القيمة والمتمثل في "الجهاد" تشكل لدينا برنامج سردي يتوقف على مدى فاعلية الذات في مقابل الحفاظ على القيم ، والمبادئ لينجح الذات في تنفيذ برنامجه السردى، وإبطال برنامج الدولة المصرية التي سبقتها في حكم مصر.

3-6- المسار السردى للقصة الختامية للمقامة الإطار:

في المقطع الأخير في القصة المشار إليها سابقا تشير الحكاية الإطار إلى أن الوهراني سأل عن الوزير عضد الدين فعرضت له خلاله وذكرت أمامه صفاته هو "جبل راسخ وطود علم شامخ وسهم رأي صائب ونجل عدل ثابت"⁴⁹ وسؤاله هذا له فرض واحد وحيد وهو أن يقدر له الوزير عضد الدين خلعة سنية" حتى يتشرف بأنوار الخلافة ويستضيء بها ويترك بلبسها وأنثرها على منارة الإسكندرية وأطرحها على ساحل مرية وأكبت بها الأقران في وهران"⁵⁰ وكل هذه الأغراض جاءت مشكلة لبرنامج سردي واحد بطله الوهراني ، والشيخ أبو المعالي، ويمكن في ضوء ما سبق توزيع الوحدات المكونة للقصة الختامية وهي بعنوان "الوهراني والوزير عضد الدين" إلى الوحدات الآتية:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظائف	المتتاليات السردية الدالة
--------	---------------	---------	---------------------------

1/	- الاضطراب	- التساؤل	-قلت فما تقول في عضد الدين.
	- التحول	- الإجابة	-ابن الأكاسرة وابن التيجان والأساورة أكرم من الغيث الهامر.
	- الحل	- الكرم	- والله لو قصدت باب الوزير لأمطرك من وبله الغزير، ما يبلغك إلى أوطانك وأزهدك بمن لقيته من الأمراء.

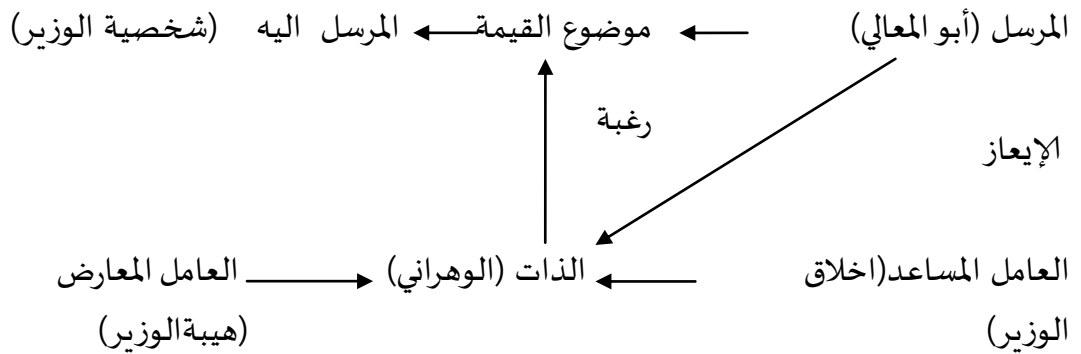
ارتبطت القصة الختامية للمقامة الإطار بمصطلح واحد إذ تشكّل من محور نصي بسيط ومباشر يخلو من التداخل والتعقيد --- وف<ض<ت<ن← ون

* (وف:الوضعية الافتتاحية/ت=التحول/ن= النتيجة/ون: الوضعية النهائية/..الاستبدال/ < الاستبعاد).

على هذا النحو تشكلت الوحدة الجديد في قصة الوهراني والوزير عضد الدين القائمة على مجموعة تساؤلات حول شخصية الوزير والتي كانت في مجملها إيجابية.

7-3- البنية الفاعلية للقصة الختامية للمقامة الإطار: تحدثت الوضعية الختامية للمقامة

الإطار عن طريق بنية فاعلية نحصرها في النموذج التالي:



قامت البنية الأولى على:

- المرسل (أبو المعالي).
- الذات (الوهراني).
- موضوع القيمة (شخصية الوزير).
- العامل المساعد (أخلاق الوزير).
- العامل المعارض (هيبة الوزير).

وبناء على ما سبق فإن الفاعل (الوهراني) لم يفكر في زيارة الوزير عضد الدين إلا بعد وجود دافع والذي تمثل في معلومات المقدمة من طرف شخصية (أبو المعالي) والذي تقمص دور المرسل إلى الذات (الوهراني) ويمكن تمثيل ذلك وفق الخطاطة التالية:

أبو المعالي	شخصية الوزير	الوهراني
المرسل	موضوع القيمة	المرسل إليه

4- الخاتمة

في ختام هذا المقال استنتج أن حقل السيميائيات السردية حقل خصب ،و يتسم بمرونة كبيرة تعود أساسا إلى قدرتها التحليلية في ظل مقولاتها الأساسية. كما برهنت آلياتها التحليلية على مدى فاعليتها في الوصول إلى المعاني الضامرة خاصة المربع السيميائي كونه يؤدي دورا محوريا في توليد الدلالات.

مثلت المقامة البغدادية لركن الدين الوهراني أنموذجا مثاليا،وحقلا خصبا لتطبيق هذه النظرية لانفتاحها على العديد من الحقول الدلالية و المعرفية والاجتماعية و السياسية كما مثلت سجلا حيا للمجتمع العربي الإسلامي في القرن السادس الهجري.

الهوامش

- ¹ - أنظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، مطبعة النجاح الجديدة، دط، دس، الدار البيضاء، ص44.
- ² - أنظر: المرجع نفسه، ص 45.
- ³ - المرجع نفسه، ص 45.
- ⁴ - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428 / 2007، ص 17.
- ⁵ - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000، ص 09.
- ⁶ - المرجع نفسه، ص9.
- ⁷ - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص 55.
- ⁸ - أنظر: المرجع نفسه، ص 56.
- ⁹ - ينظر: المرجع نفسه.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص59.
- ¹¹ - أنظر: المرجع نفسه، ص 61.
- ¹² - المرجع نفسه، ص 62.
- ¹³ - أ.ج. غريماس، سيميائيات السرد، تر عبد المجيد نوسى، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، ص 19.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص 20.
- ¹⁵ - أ.ج. غريماس في المعنى، تعريب نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، دط، اللاذقية، سوريا، ص 21.
- ¹⁶ - أنظر المرجع نفسه، ص 13.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص 15.
- ¹⁸ - أ.ج. غريماس في المعنى ، ص 15.

- ¹⁹ - ينظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السميائية، ص 11.
- ²⁰ - ينظر: المرجع نفسه.
- ²¹ - أ.ج.غريماس، سميائيات السرد، ص 18.
- ²² - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السميائية، ص 15.
- ²³ - a j Cremas. J. caurtus, Dictionnaire raisonné de la théorie de fausage - نقلا عن المرجع السابق، ص 15.
- ²⁴ - رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السميائية، ص 22.
- ^{*} ف1/ فاعل الفعل وهو الفاعل الدينامي الذي يقوم بالعملية التحويلية.
- ^{**} ف2/ فاعل الحالة وهو إما أن يستفيد من موضوع القيمة أو أن يحرم منه واصطلاح عليها غريماس ذات 1 وهي ذات المحولة. ذات 2
- الكامنة. أنظر أج غريماس في المعنى، ص 90.
- ²⁵ - المرجع نفسه، ص 25.
- ²⁶ - المرجع نفسه، ص 26.
- ²⁷ - أنظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السميائية، ص 27.
- ²⁸ - أنظر: المرجع نفسه.
- ²⁹ - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السميائية السردية، ص 80.
- ³⁰ - رشيد بن مالك، مقدمة في السميائية السردية، ص 29.
- ³¹ - أ ج غريماس، في المعنى، ص 137.
- ³² - المرجع نفسه، ص 139.
- ³³ - المرجع نفسه، ص 150.
- ³⁴ - رشيد بن مالك، مقدمة في السميائية السردية، ص 20.
- ³⁵ - أنظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السميائية، ص 30.
- ³⁶ - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السميائي، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 23.
- ³⁷ - عبد المجيد نوسي، التحليل السميائي للخطاب الروائي، سن وت المدارس، ط1، الدار البيضاء، 1432/2002، ص 13.
- ³⁸ - ينظر سعيدة بونقاب، سميائية الحكاية في مؤلف كليلة ودمنة، ماجستير جامعة الحاج لخضر، قالمة، قسم اللغة العربية، 2012/1433، ص 124.
- ³⁹ - أن اينو وآخرون، السميائية القواعد الأصول التاريخ ص 242.
- ⁴⁰ - فيصل الأحمر، معجم السميائيات، ص 230.
- ⁴¹ - ينظر: أج غريماس، في المعنى، ص 44-45.
- ⁴² - ينظر: المرجع نفسه، ص 48.
- ⁴³ - ينظر: فيصل الأحمر، معجم السميائيات، ص 251.
- ⁴⁴ - المقامة البغدادية، أول مقامات ركن الدين الوهراني وهي تتربع على تسع صفحات جرت أحداثها في مدينة بغداد وتمثل هذه المقامة سجلا اجتماعيا وتاريخيا أساسيا فضلا عن كونها تحفة أدبية بامتياز.
- ⁴⁵ - أنظر: عمر عيلان، مستويات السرد عند جيرار جينات، الموقف الأدبي، ع 427، تشرين الثاني، 2006، ص 125.
- ⁴⁶ - أشار الباحث عبد الله إبراهيم إلى مسألة الوظائف وقام بتحديد الوظائف الحكائية المشكلة لأي نص حكائي، أنظر عبد الله إبراهيم، النثر العربي القديم، ص 161-173.
- ⁴⁷ - أشار غريماس إلى المربع السميائي وأهم العلاقات التي تسهم في إنتاج الدلالة والتي تتراوح بين التضاد والتناقض والتضمين. أنظر أ ج غريماس، في المعنى ص 44-48. أنظر أ.ج غريماس، سميائيات السرد، تر عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2018، ص 49.

- ⁴⁸ - عرف غريماس النموذج العاملي "تلك الوحدة التي تؤسس فاعل الرغبة من خلال إسناد صيغة الإرادة...ويوجه هذا التسلسل المسار النحوي بالاتجاه التالي: الإرادة.المعرفة.القدرة.الفعل".أنظر: أ.ج غريماس في المعنى، ص 37-38.أنظر:احمد إدريس كريم، الوحدات السردية في حكايات كلية ودمنة، دارمجدلاوي، الأردن، 2009، ص 24.
- ⁴⁹ - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص 07.
- ⁵⁰ - المصدر نفسه ، ص08.